(علاقة التصوف بالأمن والسلام الاجتماعي لدى الإمام عبد الحليم محمود)

إعداد الباحث/ رضا سمير يوسف عبد الحميد
المسجل بدرجة الدكتوراه كلية الآداب بجامعة العريش

مقدمة:

يُعد الإمام عبد الحليم محمود من أشهر العلماء البارزين الذين كتبوا في التصوف الإسلامي بل من أسبق رواده في العصر الحديث؛ فقد كان ولازال مثالاً للصوفية المقيدة بكتاب الله البعيدة عن الإفراط والتفريط حتى لُقِّبَ بغزالي مصر، وأبي المتصوفين؛ فكانت كتاباته الصوفية لها الحظ الأوفر من مؤلفاته، فكتب " قضية التصوف: المنقذ من الضلال" والذي عرض فيه لنشأة التصوف وعلاقته بالمعرفة وبالشريعة؛ كما ترجم لعشرات الأعلام الصوفيين مثل: سفيان الثوري وأبي الحسن الشاذلي وأبي مدين الغوث وغيرهم الكثير

وُلد الإمام عبد الحليم محمود في قرية "أبو أحمد" بمدينة بلبيس محافظة الشرقية عام ١٩١٠م، والقرية منسوبة إلى جده أبو أحمد الذي أنشأ القرية وأصلحها، وتُسمَّى الآن بقرية "السلام"

نشأ الشيخ الإمام في أسرة كريمة مشهورة بالصلاح والتقوى، وكان والده – رحمه الله– صاحب دين وخلق وعلم، وكان ممن شغفوا بالثقافة الدينية، وحلقات الأزهر العلمية، مما كان له الأثر في توجيه ابنه– عبد الحليم– للدراسة بالأزهر عام ١٩٢٣م تحقيقًا لآمال والده إلى أن ظفر بشهادته العالمية عام ١٩٣٢م ثم سافر إلى فرنسا، ونال الدكتوراه في التصوف الإسلامي، وكان موضوعها أستاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبي ؛ ثم تقلد المناصب حتى أصبح وزيرًا ثم شيخًا للأزهر وتوفى ١٧ من أكتوبر ١٩٧٨م .

وفى هذا البحث إن شاء الله سنتحدث عن التصوف ليس من زاوية اسمه أو مصادره أو الرد على الشبهات التي التصقت به من قِبَل بعض الكارهين للتصوف وأهله بل نتحدث من زاوية أخرى وهى علاقة التصوف بالأمن وكيف كان دور التصوف في إرساء السلام في المجتمع المسلم أفرادا وجماعات ليس على المستوى الفردي أو الجماعي فقط بل على المستوى الإقليمي والدولي ليعطي بذلك الإشارة إلى عالمية التصوف النابع من عالمية الإسلام نفسه .

علاقة التصوف بالأمن والسلام الاجتماعي لدى الإمام عبد الحليم محمود.

إن رجال الأمم الإسلامية ترتفع أصواتهم في كل مكان في الآونة الحاضرة منادية بالإصلاح، وعاملة على الأخذ في سبيله، من أجل ما يتمناه الجميع من نهضة نرجو الله أن تأخذ طريقها السليم، غير أن بعض الناس حيثما يُثَار موضوع الإصلاح يتجهون عادة إلى أوروبا وأميركا غير مراعين في ذلك اختلاف البيئة، واختلاف الدين، واختلاف العرف والتقاليد، واختلاف الماضي الحضاري[١] . لذا كان من أهم الأهداف المراد تحقيقها عند الصوفية هي إصلاح المجتمع المسلم مبتدأ بأفراده، وذلك لنشر السكينة والطمأنينة، ومن ثَم يسود السلام بين أفراد المجتمع الإسلامي ككل، لذا كان الهدف من التصوف هو بناء المجتمع المسلم على أساس من الفضيلة والخلق السليم، ومن هنا كان اهتمام الإمام عبد الحليم محمود بشخصية المسلم وتربيته تربية يستهدف من ورائها "إقامة مجتمع مسلم مترابط تسوده المحبة والأخوة يستمد مبادئه من قيم الإسلام وتعاليمه، وإذا أردنا أن تسود الثقة بين الناس في المجتمع، وأن يوجد التعاون والتآزر والتعاطف بين أفراده، فالسُبل أمامنا واضحة وهى إحياء الإيمان في النفوس بشتى الوسائل وبمختلف الطرق حتى يستمر إيجابيًا وفعالًا"[٢]. كما أن الإسلام كما يقول الإمام : ((دين السلام لأنه دعا إلى التعارف بين الشعوب والتعاون بينها وقدم ضمانات ومبادئ لإقرار السلام العالمي والأصل في علاقه المسلمين بغيرهم هو السلم))[٣].

ويرى الإمام أن كل إصلاح سواء أكان للفرد أو للمجتمع يبدأ بالعلم سواء كان دينيًا أو ماديًا وإحداث نهضة علمية، تلك النهضة التي كان من ثمارها الحضارة الإسلامية فلم يترك العلم على عامته بل حدده فضيلته بالمعنى الإسلامي قائلًا ((هو العلم بالله والعلم بسننه الكونية التي تشمل الأرض والسماء وما بينهما. كما يرى أن الاصلاح يبدأ بالعبادة علمًا في جانبه العلمي، وعملًا في جانبه العملي، وجانب العبادة العلمي يبدأ كجزء من العلم وجانبها العملي

---

[١]عبد الحليم محمود - منهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع - مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة -٢٠٠١ م- ص ٧.

[٢] عبد الحليم محمود - العبادة أحكام وأسرار- دار غريب للطباعة والنشر- القاهرة - ١٩٩٨م - ص٢١١ .

[٣] محمد امحزون - السلام رؤية إسلامية (مقال) - مجله البيان عدد ٣٨٦- مقال غير محكم - عدد يونيو ٢٠١٩م- المغرب - ص٧٨.

يبدأ بمجرد استطاعة الطفل إدراك ما يعمل والقيام بما يدرك))[٤]. ومن هنا كان التمسك بمبادئ الدين القويمة، وتعاليمه السامية، وكان لابد أن تحل الأخلاق بين أفراده مقام القانون بأن يكون للمسلم وازع من ضميره يدفعه إلى الحرص على الكمال وطلبه؛ هذا هو التصوف وتلك أهدافه التي نرجو أن تتحقق، وبها يسود المجتمع روح المودة والتعاطف، ويسعد الناس جميعاً برباط الحب الذي يربطهم بالسماء ويخلق بينهم جواً روحياً صافياً يقضي على كل بغضاء وشحناء، وبذلك تعود الأخوة الإسلامية الصافية التي زرع النبي –ﷺ– شجرتها في المهاجرين والأنصار فأتت أكلها، وزكي فرعها، وامتدحها الله العلي بقوله ﷻ: **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾** [٥].

لذا حث الإمام على أن تقوم العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع على أساس من الأخوة والمشاركة الفعالة فيما بينهم وليس على أساس الاستغلال ((فالأساس الذى يتخذه الدين الإسلامي لبناء العلاقات بين أفراد المجتمع بعضهم مع بعض إنما هو الأخوة، والأخوة تتنافى تنافيًا مطلقًا مع أي نظام استغلالي إنها تتنافى تنافيًا تامًا مع التعامل بالربا ..والمسلمون فيما بينهم أخوة متراحمون، إنهم فيما بينهم عطف ومودة ورحمة وكل هذا طريق غير طريق المرابين))[٦].

ولعل أكبر محْمدة في الإسلام، وأعظم دعوة سبق بها غيره منذ قرون هي ((دعوته إلى الإنسانية والأخوة العامة، فهو قد سُمي الإسلام، والإسلام والسلام من مادة واحدة .وأسلم الرجل أي استسلم لله وأخلص له، أي كان في سلام مع لله، ومن كان في سلام مع لله أحبّ أن يكون في سلام مع خلقه، ولذلك قال رسول لله –ﷺ–"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده: " وسُمي معتنق هذا الدين مسلمًا، وجعلت تحية المسلمين فيما بينهم " السلام عليكم"))[7]

تلك الأخوة والمودة والتعاطف والتراحم بين أفراد المجتمع هي التي تحقق السعادة التي تنال بها عمل الخير لذا يقول تعالى:**﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أو أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ**

---

[٤] عبد الحليم محمود - منهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع - ص ١٧٣. ينظر أيضا: عبد الحليم محمود - موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة - مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط ٢- القاهرة - ٢٠٠٨م - ص٧٥.

[٥] الفتح : الآية ٩٢.

[٦] عبد الحليم محمود-العبادة أحكام وأسرار- ص٢١٥.

[7] أحمد أمين - فيض الخاطر - ج ٧- مكتبة هنداوي للنشر - القاهرة - ٢٠١٢م- ص ٢٥٠

حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٨] ويرى الإمام أن السعادة التي يعبر عنها الله ﷻ بالحياة الطيبة إنما هي سعادة في هذه الدنيا التي لابد وأن يعقبها سعادة في الآخرة وذلك ما عبر عنه ﷻ في قوله سبحانه:**﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** أي أن نتيجة العمل الصالح كما يراها الإمام ليس حتمًا أن تكون تالية له فقد تكون في أثنائه أي أثناء العمل يكون طمأنينة نفس وراحه البال وهدوء ضمير))[٩].

ومن هنا كان – ولازال – للتصوف ثورة روحية حضارية زاخرة وروافد اجتماعية بالغة الأثر في حياة الأسرة والمجتمعات متمثلة في عطاءات رجال الصوفية لمواطنيهم ومجتمعاتهم من خلال دعمهم للقيم الاجتماعية المختلفة، فقد كانوا يحرصون على أن تكون مجتمعاتهم أرقى المجتمعات، وخاصة في الجوانب الروحية والأخلاقية والسلوكية تمشيًا مع واقعها الإسلامي الحنيف لذا نجد ابن عربي يقول : ((عليك بصدق الحديث وأداء الأمانة وصدق العهد واجتناب الكذب، وخلف الوعد وعدم الفجور عند المخاصمة فإن علامات المنافق وآيته، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، وإذا خاصم فجر، وعليك بالحياء فإن الله حيي والحياء من الإيمان وعليك بالنصيحة فإنها الدين))[١٠].

لذا كانت خطة الصوفية لإصلاح المجتمعات تبدأ بإصلاح النفوس التي بإصلاحها ينصلح حال المسلم حيث يرى الصوفية أنه لا يمكن للمجتمعات أن تسعد وتنعم بالهدوء والسكينة إلا إذا قضت على أمراضها المعنوية لذا كان ((للتصوف دور كبير في بناء الخُلق الاجتماعي، باعتبا أنه يتغلغل في طبقة عريضة من الشعوب، وبناؤه للأخلاق الاجتماعية بناء عملي منهجي، يُعنَي فيه بالقدوة والمثل والسلوك والتوجيه والمتابعة، والتصوف يطبع الفرد على سلوك كريم، فيه إحياء للضمير، وشعور بالمسئولية، ومحاسبة للنفس، ومراقبة لله، وهذا السلوك الفردي هو الذي يُكَوَّن السلوك الاجتماعي، فما المجتمع إلا مجموعة أفراد. وغني عن القول أن أذكر دور التصوف في بناء الأخلاق الفاضلة، فهو صاحب المثالية الخلقية، وحامل لوائها، ومن بين صفوفه برز رجال أفذاذ، حملوا إلى العالم أروع ما تحمله الآثار

---

[٨] النحل : الآية ٩٧.

[٩] عبد الحليم محمود - فاذكروني أذكركم - دار الشعب للطباعة - القاهرة- ١٩٧٠م. - ص ١٢.

[١٠] الإمام ابن عربي- الوصايا- الوصية ٣٩ - دار الايمان- ط٢- دمشق- بيروت-١٨٨٨م - ص٨١.

الطيبة والذكريات العطرة، والبطولات النادرة في الأخلاق والفضائل. ويكفي أن التصوف لم يكتف بما للفضائل من أسماء تدل عليها، ولكنه جعل من هذه الأسماء حقائق ناطقة، وأرواحاً منطلقة مشرقة، تفيض على أصحابها ومَنْ حولهم نورها، وتمدهم بمكنون أسرارها، وتكسوهم من فيض جمالها وجلالها، ما يرفعهم إلى مرتبة القديسين والصديقين))[١١].

فإذا صلحت النفوس أصبحت مهيأة إلى حمل رسالة الله ومن ثم كانت قادرة على نشر القيم والفضائل بين ربوع المجتمع مسلمة وكافرة إذ عندها يصبح التصوف سلوك عملي وترجمة حقيقية للأخلاق حتى إذا وصلوا إليها تحققوا بها، وأثمر هذا التحقق درجات من المشاهدة وألواناً من المعرفة، تركت في نفوس أصحابها وفي الطريق الصوفي أثاراً كبيرة مطبقين بذلك تعاليم الإسلام السمحة وقيمه السامية.

تلك القيم وهذه التعاليم التي تمنح القوة للروح التي يستمدها الناس من الاتجاه إلى الأفق الأعلى حيث يشعرون بالأمن والراحة والاستقرار، حيث ينسى الإنسان أحقاده وآلامه وشراسته، وهذه هي الغاية التي يسعى إليها الصوفية مستمدين ذلك من منهج الإسلام الذى هو((منهج هذه الحياة المستقيمة في جميع جوانبها وفي اتجاهاتها المختلفة في المكتب والعمل والسياسة والأسرة وفي الدنيا والدين، ولقد عمل رسول الله وصحابته الكرام في كل مناحي الحياة فأتقنوا العمل وجعلوا الله قبلتهم في كل شيء، فصيروا الدنيا مزرعة للآخرة تلك خطوط عريضة لمنهج الإسلام ومبادئه السامية، وقد التزم بها الصوفية المخلصون وأخذوا بها أنفسهم وسألوا الله سبحانه التوفيق فيما قصدوا، والإخلاص فيما عملوا وما أحوج البشرية اليوم إلى الالتزام بهذا المنهج الإلهي في وقت طغى فيه المادية واستشرى فيه الإلحاد، وسادت فيه الأنانية وساد الجشع والطمع، وازدادت فيه ضراوة الطغيان، ومجاوزة الحد في الظلم حتى بات فيه الضعيف هلعًا والفقير جزعًا والحق مهضوم، والسلام مهددًا بسبب مادية العصر وطوفان الإلحاد وكسرة الفساد والاغترار بالمنجزات العلمية والتفوق في التقنية والتكنولوجيا، فما أحوج البشرية لمنهج الصوفية والرجوع إلى الله تعالى))[12].

---

[١١]فوزى محمد أبو زيد - المنهج الصوفي والحياة العصرية – دار الإيمان والحياه– ط١ –القاهرة – ٢٠٠٦م -ص ١٣٨ ،١٣٩ .

[12]() عبد الحليم محمود - فتاوى الإمام عبد الحليم محمود - الجزء الأول - **دار المعارف - الطبعة الخامسة- القاهرة- ١٩٩٨م** - ص ٣٩٢.

ولهذا فقد اضطر المجتمع المادي أن يحني قامته لهذا المجتمع الروحي الرحيب فأدرك عقلاء الغرب ومفكروه أن التصوف ملجأ أخير يحفظ للإنسان كرامته، وينقذه من حريته، ويهديه الأمن والرحمة والسلام، ذلك التصوف الذي نبع في حمى رسالة السلام والإسلام، لقد أفلست كل المذاهب والفلسفات في الغرب فكراً وتطبيقاً، وأفلست روحياً وإنسانياً، وأفلست علاجاً، وأفلست حلاً فكل شيء هناك يسير إلى النهاية، وقد فشلت كل العقاقير والأدوية في إنقاذ هذه الحضارة، وقيمها البالية فنحن إذا سرنا في تيارها فإننا نصبح ولا شخصية لنا ولا ذاتية ونصبح وقد فقدنا رسالتنا التي كلفنا بتبليغها ونشرها للناس وهى رسالة الإسلام التي من أجلها كانت الأمة الإسلامية وبدونها تصبح الأمة الإسلامية لا مبرر لوجودها [١٣]. لذا أصبح الحل تلك الوثبة الروحية كما يقول العلامة الفرنسي برجسون:((الإنسانية اليوم أكبر ما تكون حاجة إلى الوثبة الروحية حتى تقيم التعادل مع وثبتها المادية، إن الجسم الذي تضخم ينتظر الآن نفخة روحية، وإن الآلية بحاجة إلى صوفية، ولعل أصول هذه الآلية صوفية أكثر مما يظن، وهي لن ترتد إلى اتجاهها الحق ولن تكون خدماتها متناسبة مع قوتها إلا إذا استطاعت الإنسانية التي انحنت بتأثيرها نحو الأرض أن تتوصل بتأثيرها أيضاً إلى الانتصاب ثانية والرنو إلى السماء))[١٤].

وفي الحقيقة لن يقي بلادنا شر التيارات الوافدة المتحللة كما يري الإمام سوى نزعة روحية سامية تقف في وجه الإلحاد والزندقة والوجودية والشيوعية والتعصب الممقوت، وغير ذلك من نزعات لا هدف لها سوى القضاء على هذا الدين الحنيف، الذي يرى في أصحاب هذه النزعات سداً منيعاً يحول بينهم وبين ما يبتغون من سيطرة واستعلاء وإفساد لذا((كان النصر الكبير الذي حققه الإنسان في عالم المادة سيبقى شراً حتى يضاف إليه انتصار مماثل في عالم الروح وحينئذ يوجد أروع نموذج للإنسان السيد المؤمن القادر، لقد انهارت العوائق

[١٣] عبد الحليم محمود- موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة - ص ٢٣٠.
[١٤] أحمد أمين - ظهر الإسلام -ج٢- تقديم: صلاح فضل تعليق: محمد فتحي أبو بكر - الدار المصرية اللبنانية للنشر - ٢٠١٦م- هامش ص٥٠٠.

المادية أمام العقل المادي، وواجبنا الأقدس أن نفتح لقلبه الآفاق الروحية بأنوارها وإشراقاتها وإيمانها لنوجِد الإنسان الخليفة تاج الخليقة))[١٥]

فالمجتمع الذي أساس التعامل فيه المادة فحسب، وتقوم العلاقات المادية فيه مقام العلاقات الروحية يمتلأ بالشقاق والنزاع والضيق والفشل الذي يؤدي في النهاية إلى الخراب والدمار، والمجتمع الخالي من الفضائل والأخلاق، لا يكون إلا مجتمع غاب، وميدان وحوش، الغلبة فيه للظفر والناب، لا للعقل المفكر أو القلب الكبير، وهذا ما هو واقع فعلاً في الدول المادية، لذا دائمًا ما كان ليؤكد الإمام عبد الحليم محمود على أن التربية الصحيحة، والقدوة الكريمة، والبعث الروحي، والصورة المثالية للفرد والأمة التي يحققها التصوف هي التي تعيد لنا توازننا وتصحح لنا خطواتنا.؛ ومن هنا كانت طهارة القلوب التي يحرص الصوفية عليها فالصوفي الحق هو الذي يعمل بقول رسول الله ﷺ فيما يرويه أَنَسُ بنُ مَالِكٍ وأخرجه الإمام الترمذي في سننه قالَ لِي رَسُولُ الله:" يَا بُنَيَّ إِنْ قَدِرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ في قَلْبِكَ غِشٌ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ، ثمَّ قالَ لِي: يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْيانِي وَمَنْ أَحْيانِي كَانَ مَعِي في الْجَنَّةِ" يقول السهر وردي معلقاً على هذا الحديث: ((فالصوفية هم الذين أحيوا هذه السنة، لأنهم وقفوا في بدايتهم لرعاية أقواله، وفى وسط حالهم اقتدوا بأعماله، فأثمر لهم ذلك أن تحققوا في نهاياتهم بأخلاق، وتحسين الأخلاق لا يتأتى إلا بعد تزكية النفس))[١٦] .

ولقد امتزج رسول الله-ﷺ-، برسالته الخالدة، فكان هو هي شرحاً وتفصيلاً، وكانت هي هو بياناً لمعدنه وجوهره، وخلافةً له، ونيابةً عنه. تقول السيدة عائشة – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا –: «لَقَدْ كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنُ» وهذه الكلمة من السيدة عائشة تحتاج إلى تحديد وبيان ذلك أنَّ القرآن يُحَدِّدُ الخلق الكريم في حده الأدنى، ثم لا يقتصر على ذلك، إنما يرسم القمم من مكارم الأخلاق، ويوجِّهُ إلى السنام منها، ويقود إلى المشارف العليا من درجات المقرَّبين..[١٧].

---

[١٥] طه عبد الباقي سرور- أعلام التصوف الإسلامي- ج١- دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع, - القاهرة- ١٩٥٦م- ص١١.

[١٦] السهر وردى - عوارف المعارف - مجلد١- تحقيق د. أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق على وهبه -مكتبة الثقافة الدينية -ط١ - القاهرة - ٢٠٠٦م- ص ٢٤٨.

[١٧] عبد الحليم محمود - منهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع - ص٧٣.

ومن هنا نرى إيجابية الصوفية في مجتمعهم وحثهم على طهارة القلوب وتزكية النفس وسعيهم نحو نشر ثقافة الأمن النفسي والسلام الروحي بينهم وبين مجتمعهم من ناحية، وبينهم وبين الله تعالى كل على قدر قربه واجتهاده في الوصول إلى ذلك. ولقد كان الإمام عبد الحليم محمود سائرًا على درب الصوفية مع مجتمعهم فقد كانت مواقفة ﷺ أكبر دليلا على إيجابيته الفعالة فقد كان يشارك أفراد مجتمعه في همومهم وآلامهم، فسعى جاهد لكشف الضوائق عنهم، فقد تمسك بتعاليم الكتاب والسنة التي تحث على التكافل والتعاون عن طريق البذل والإنفاق لإسعاف المنكوبين وإراحة المتعبين عملاً بقوله تعالى: ﴿ **وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ١٠** ﴾[18] .

وعملاً بقول رسوله الكريم: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ. مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ. وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً، سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١٩] .

وتطبيقًا عمليًا لهذا الحديث النبوي الشريف كان للإمام دور كبير في فض المنازعات، وإقامة السلام والأمن في ربوع البلاد، والقضاء على داء التشاحن والتباغض بين الناس في كثير من الأقاليم، فقد كانت كلمة من فضيلته يكون لها فعل السحر في النفوس، فتستل دوافع الحقد منها، وتقضي على دوافع الشر والفتنة، وتبسط سلطانها القوي على الناس، فإذا بهم جميعًا أُخوة متحابون متآلفون يسعون في سبيل الخير والصالح العام. ومن أمثلة ذلك ((البيان الذي أصدره الشيخ عبد الحليم محمود بشأن قضية الصحراء بين المغرب والجزائر، وناشد من خلاله الملك الحسن الثاني، من أجل تغليب روح الإسلام والأخوة وقبول الاحتكام إلى كتاب الله)) [٢٠] ثم كان البيان الآخر الذي أصدره الشيخ عبد الحليم محمود الذي تمحور حول رأى الإسلام في الحرب العراقية الإيرانية مبينًا، مجافاتها لما نادى به الإسلام[٢١]

---

[18] المنافقون: الآية ١٠.

[١٩] رواه الإمام مسلم في صحيحه

[٢٠] عبد الحليم محمود - بيان بشأن قضية الصحراء بين المغرب والجزائر - مجلة الأزهر - مج ٣١ - ج ٣ - القاهرة - نيسان ١٩٧٥ - ص ٢٦٧ ، ٢٦٨.

٢١() للمزيد عن الحرب العراقية الإيرانية . ينظر : عبد الحليم محمود - بيان بشأن الحرب العراقية الإيرانية - مجلة الأزهر- مج ٤٣ - ج ٤- كانون ثاني ١٩٧٩ - ص ٢٤٣. وينظر أيضا: مؤيد إبراهيم كاظم - الحرب العراقية الإيرانية

وما كانت هذه البيانات من الإمام إلا تطبيقًا لمبدأ الإصلاح لنشر ثقافة السلام الذي تشير إليه الآيات القرآنية: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٠**﴾[٢٢] وهذا المبدأ كما يقول الإمام مبدأ– الإصلاح بين المتخاصمين– ((كفيل في العصر الحاضر بإنهاء أي نزاع يحدث بين الأخوة من العرب وبين المسلمين على وجه العموم، ورجاءنا في الله شديد أن يوفق الأمم العربية والإسلامية لتآلف القلوب حتى يصبحوا جميعًا مدى الدهر بنعمته تعالى إخوانا، تلك الوحدة الإسلامية التي هي من طبيعة الإسلام ومبادئه، وقد تحققت بالفعل منذ زمن مضى ودامت السنين الطوال، وما كان دوامها إلا لأن الإسلام أحكم أمرها إحكامًا دقيقًا وكان من أهم مبادئه في ذلك التكافل الاجتماعي بين أفراد الأمة الإسلامية مهما نأت ديارهم واختلفت أجناسهم))[٢٣].

ومن هنا نرى أن التصوف الذي يرتكز على إرث ديني يهدف إلى إشاعة المحبة ونشر السلام والنأي بالمجتمعات عن التنازع ابتداء لأنه معول هدم يفضى إلى الفشل وذهاب الريح، وهذا بالضرورة يتنافى مع مبادئ وأهداف الصوفية التي تعمل لأجل الأمن والسلام الاجتماعي[٢٤].

وكما أشار الإمام إلى التكافل الاجتماعي في صورته الدينية والاجتماعية نادى إلى التكافل الاجتماعي بصورته الاقتصادية مناديًا بتعمير الصحراء في مصر حيث قال :((يمكن للصحراء أن تقهر وأن تذلل وأن تصبح ثروة ضخمة لو وجدت الإخلاص لله وللوطن، لو وجدت رجالًا أذكياء قد تخلوا عن الخمول، لو وجدت رجالًا ينظرون إلى مصر محبين لها عاملين من أجلها، وخُذ أمثلة من كل قاره في العالم، فستجد من زراعة الصحراء بزراعات مناسبة وتغلبوا عليها، إن أشجار الزيتون مثلًا تصبر على الماء ثلاث سنوات هل فكرنا في زراعة الزيتون، وليس في أراضينا أرض لا ينزل فيها المطر لا صيف ولا شتاء ثلاث سنوات

وأثرها على الأمن القومي العربي والأمن الوطني العراقي (رسالة ماجستير غير منشورة)- جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية- ١٩٨٤.

[٢٢] سورة الحجرات: الآيتان ٩ ،١٠.

[٢٣] عبد الحليم محمود - الجهاد في الإسلام-- دار المعارف- ط٢- القاهرة- ١٩٨٨م- ص٢١٣.

[٢٤] أبو بكر محمد ألطاف - دور التصوف في الأمن والسلام (بحث)- جامعة بنجاب لاهور - مجلة القسم العربي -العدد ٢٤- باكستان - ٢٠١٧م -ص ٢٦٣.

متتالية إلا النادر المحدود، إن أقاليم بتونس لا تنزل فيها الأمطار إلا نادرًا، لقد زرعتها تونس زيتون وأصبح الزيتون في تونس من المصادر الرئيسية للثروة ويستطيع خبراء الزراعة أن يحدثوك عن إمكانات لا حد لها فيما يتعلق باستثمار الصحراء))[٢٥].

ونظرا لتلك الأهمية الاقتصادية للدولة أفرادًا وجماعات قد كان من مشروع الدستور الإسلامي الذى أعده فضيلته أورد في المادة ٢٢ ((تشجيع الدولة على تعمير الصحراء وتوسيع رقعة الأرض الزراعية))[٢٦]

ورغم ما سبق فقد بَيَّن الامام أن الاتجاه في مصر إلى الزراعة وحدها قصور في التفكير، قصور فرضه المستعمر، ولم تتخلص منه إلى الآن حيث أن المستعمر أراد لمصر أن تقبع بين حدود معينة من الأرض الزراعية، لا تنطلق منها الي بقية البقعة الأرضية الصحراوية لتظل محدودة الدخل محدودة الإمكانات محدودة التأثير في العالم لا دور لها بين الأمم، واستجاب عملاء الاستعمار فوجهوا الأنظار إلى خمسة ملايين من الأفدنة هى الأرض الزراعية في مصر وأعلنوا أن لا مجال في غيرها كالصناعة مثلا حيث تحتاج الصناعة إلى مواد خام فقد ردد عملاء الاستعمار هذا الاعلان " ليس في مصر مواد خام" وكل مصري يعلم أن هذا كله باطل، وأن المواد الخام أو معظمها موجودة في مصر، وأن مصر بلد صناعي بمقدار ما هو زراعي ومع كل ذلك فقد بدأ البترول يسيل شيئًا فشيئًا، وبدأت الآمال عريضة في تيسير الله تعالى لتدفقه[٢٧].

ومن هنا أكد الإمام أن من الوطنية أن تسود الفضيلة وأن يسود الأمن في المجتمع وأن يكون الأفراد والجماعات متمسكين بمكارم الأخلاق مجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وفي سبيل وطنهم وكل هذا لا يكون إلا بنشر الوعي الديني وبالتالي تقوية الشعور الديني في النفوس[٢٨].

---

[٢٥] عبد الحليم محمود - الحمد لله هذه حياتي -- المكتبة التوفيقية- القاهرة-د/ت ط- ص٢٧.

[٢٦] عبد الحليم محمود - مواد عن الاقتصاد الإسلامي في مشروع الدستور الإسلامي (مقال) - دار المنظومة- البنوك الإسلامية -عدد ٢٠- شهر اكتوبر/ وذو الحجة محكمة- ١٩٨١م - الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية للنشر -ص ٩.

[٢٧] عبد الحليم محمود - الحمد لله هذه حياتي - ص٢٨.

[٢٨] المرجع السابق- ص٦٨.

ومما يذكر في هذا المجال ما قام به فضيلة المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود– الصوفي– من التزامه بواجبه الصوفي إلى جانب واجبه الآخر كشيخ للإسلام مما كان له أثره في أن أعلن على يديه أربعة آلاف ماليزي وعشرة آلاف ياباني، وما لا يحصى من الإندونيسيين في الإسلام أثناء زيارته لهذه البلاد سنة ١٩٧٤م، وقد ذكرت ذلك الصحف في حينه وتراه مسجلاً في مجلة الأزهر عدد شوال ١٣٩٧هـ.[٢٩]

ويشير إلى هذه الحقيقة أيضاً الدكتور محي الدين الألوائي في كتابه "الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية" قائلاً:((ولم نر في تاريخ الدعوة الإسلامية الطويل في شبه القارة الهندية جماعة أو هيئة رسمية أو غير رسمية أنشأت لغرض الدعوة والتبليغ حسب منهج تبليغي منظم، وكل ما رأيناه في مجال الدعوة هو الجهود الفردية من الدعاة المخلصين من العلماء والوعاظ الصوفية الذين اتخذوا من مجالسهم العلمية إما في منزلهم أو في التكايا أو في المساجد، مراكز لبيان محاسن الإسلام وإبرازها ناصعة واضحة أمام الناس، كما كانوا يقومون برحلات وجولات في سبيل نشر دعوة الحق بطريق الموعظة والإرشاد، وفي جميع الأحوال كانوا قدوة حسنة وحيَّة في حياتهم الخاصة والعامة للتحلي بالأخلاق الفاضلة وحسن المعاملة والإخلاص والوفاء، كما كانوا يهتمون بتربية الناس على الطباع المستقيمة التي يدعو بها الدين الحنيف))[٣٠].

بالإضافة إلى بعض الصوفية في الجزائر فقد كانت لهم مواقف مشرفة في مواجهه الاحتلال الفرنسي كما يقول د / أحمد الجزار: ((وفي هذا الصدد يجيء الامير عبد القادر الجزائري(١٨٠٧– ١٨٨٣م) فهو أول من خاض غمار الحرب في مواجهة الاحتلال الفرنسي وقد كان الأمير صوفيًا مجاهدًا تنتمي أسرته إلى الطريقة القادرية وفضلًا عن ذلك كله فقد لعبت الطريقة السنوسية دورها المشرف في حركات الجهاد الإسلامي في المغرب العربي بل لها أهم الأسباب الرئيسية للثورة التي خاضها الأمير عبد القادر الجزائري... ولعل هذا هو ما جعل بعض الباحثين المعاصرين يثني على أتباع الطريقة الشاذلية في توجهها نحو العمل والجهاد، وعدم وقوفه فيها عند حد الممارسات التعبدية كما هو الشيء في كثير من الطرق

---

[٢٩] فوزى محمد أبو زيد ـ المنهج الصوفي والحياة العصرية- ص ١٦٧.

[٣٠] محي الدين الألوائي- الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية- دار القلم للنشر ـ ط١- دمشق ـ ١٩٨٦م ـ ص ٤٤٤.

الصوفية وهو دور ينبغي في رأينا أن تتوجه هذه الطرق تحقيقا لفاعليتها ودورها في المجتمع))[٣١].

تلك الطرق الصوفية كما يقول عنها الإمام عبد الحليم محمود: ((وسائل تزكيه النفس وتهذيب الخلق، وتحسين السلوك والسير بالمريد في طريق الاتباع العملي للمريد للرسول – ﷺ– ليكون مؤمنًا حقًا ومسلمًا صدقًا، ولا يشعر بأثر الطرق الصوفية إلا من مارسها بإخلاص، وهيأ الله له من وسائل الترقي ما يحقق له الوصول وبينما الصوفية الحقيقيون يدعون إلى الله بالقول والعمل ويحاولون انتشال المؤمنين من كل ما يثبط بالدين أو يصرف من هدى النبوه؛ فإن بعض الأدعياء قد شوهوا صورة التصوف في نظر الناس، وأدخلوا فيه ما ليس منه بما يخالف أسسه وقواعده وتحوله عن الهدف الذي يميزه عن غيره من ألوان التربية والتعليم، فغالوا في الحديث عن الكرامات، وجنحوا به نحو الشعوذة والمظاهر البعيدة عن روح الإسلام الصحيحة والمنافية لحقيقة الإتباع ولعل هؤلاء الأدعياء هم الواجهة السيئة التي يصرف الله بها عن الخلق ما لم يصدق في قصده ولم يتحقق منه كمال العزم في نيته؛ إن على من يريد التصوف الحقيقي ألا يعير هؤلاء المدعين أدني أهمية ويبحث عن التصوف الحقيقي في أهله؛ وأهل والحق واضح والباطل لا يخفى قال تعالى:﴿ **فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ** ﴾[٣٢]. كما أنها– الطرق الصوفية– وسائل متعددة للهداية إلى الله تعالى، إنها تعمل على هداية الأفراد وتعمل على هداية الجماعات، وتريد أن تصل بالمجتمع إلى أن يكون ربانيًا؛ وشيخ الطريقة يرجوا الله دائمًا أن يدخل في نطاق من قال رسول الله فيهم" لأَنْ يهْدِيَ اللَّه بِكَ رجُلًا واحِدًا خَيْرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعم " الحديث :متفق عليه[٣٣].

لذا كانت هذه الطرق الصوفية وما تقوم به من تلك التربية الروحية حتى تتصدى لجوهر الإنسان ولُبه، وتزكية النفس وإصلاحها، وترتقي بالنفس من أمارة بالسوء إلى نفس لوامة ومن لوامة إلى نفس مطمئنة، فيصبح الإنسان بذلك متوازنًا، متكاملًا، فاعلاً، ونافعًا، متواصلًا، منفتحًا على عصره، قادرًا على إرساء قواعد السلم والسلام: إنه سِلم لساني، أخلاقي، سِلم في

---

[٣١] **أحمد محمود الجزار- الإمام المجدد بن باديس والتصوف** منشأة المعارف للنشر - ط ١ ، الإسكندرية ، ١٩٩٩م - **ص ٤٤ ،٤٥.**

[٣٢] **عبد الحليم محمود - فتاوى الإمام عبد الحليم محمود - ج١ - ص ٣٨٧.**

[٣٣] **المرجع السابق- ص ٣٧٧، ٣٧٨.**

العلاقات، سِلم في العواطف والقلوب؛ فالتصوف يساهم في إشاعة قيم المحبة والرحمة وحسن التعايش والتواصل مع الحضارات والأديان، فتنعم بوافر الأمن والأمان[٣٤].ولن ينعم الفرد حتى يصل إلى تلك التربية الروحية إلا بالإيمان بالله تعالى ووحدانيته وأن محمدًا ﷺ رسوله وخاتم أنبيائه، فالإيمان الصادق هو قائد الإنسان إلى حظيرة الآخرة وهو مفتاح الطريق، وبدونه لا تنفع المجاهدة ولا تتم[٣٥].

لهذا امتاز التصوف الإسلامي –بفضل رجاله– بنزعة إنسانية عالمية منفتحة على سائر الأديان والأجناس، وإذا كان الإسلام في جوهره دينًا منفتحًا على كل الأجناس لا فرق عنده بين مسلم ومسلم يختلفان جنسًا أو لغة أو مكانًا أو زمانًا فإن الصوفية المسلمين قد وسعوا من الآفاق التي يستشرف إليها الإسلام فامتدوا بها إلى الأديان الأخرى، فأبو يزيد البسطامي يدعو الله لجميع الناس ويلتمس منه أن يبسط رحمته على النوع البشري كله، ويود لو يتشفع للناس كافه لا للمذنبين من الأمه الإسلامية وحدهم؛ بل لكل الخطاه بأي دين دانوا، ويود لو تحمل عن الخطاه جميعًا العقاب فتتسع وجوده ليشمل النار كلها فلا يبقى فيها موضع لغيره[٣٦].

فقد كان للصوفية وبخاصة الطرق الصوفية المنتظمة دور هائل في نشر الدعوة الإسلامية في خارج دار الإسلام ولنأخذ مثالًا على ذلك ما حدث في الهند فكما قال ماسينون:إن الإسلام لم ينتشر في الهند بواسطة الحروب بل انشر بفضل الصوفية والطرق الكبرى وهي الجشتية والكبروية والشطارية والنقشبندية" ذلك لأن التوفيق الاجتماعي بين الظافرين والمقهورين لا يتم إلا بواسطة أولئك الذين يعطون ولا يطالبون ويُقرِضُون ولا يأملون في شيء" وقد كان للتصوف الإسلامي في الهند الفضل في المصالحة بين الطوائف وانتشار الإسلام في أفريقيا السوداء جنوب الصحراء السنغال ومالي والنيجر وغينيا وغانا والنيجر وتشاد، إنما يرجع إلى الشطر الأكبر فيه إلى الطرق الصوفية خصوصًا التيجانية والسنوسية

---

(٣٤) أبو بكر محمد ألطاف - دور التصوف في الأمن والسلام (بحث)- ص ٢٦٨.

(٣٥) مجدي إبراهيم- التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي--مكتبة الثقافة الدينية للنشر – ط٢- القاهرة - ٢٠٠٦م- ص ٥٦٩. وينظر أيضا :سعيد حوى- تربيتنا الروحية- سعيد حوى- تربيتنا الروحية – طبعة دار السلام للنشر والتوزيع- ط٦- ١٩٩٩م -ص١٤٦.

(٣٦) **عبد الرحمن بدوي- تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني-** تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني / وكالة المطبوعات /ط١/ الكويت- ١٩٧٥م**-ص٢٧.**

والشاذلية. فكانت الزوايا والرباطات التي أسسها شيوخ هذه الطرق الصوفية بؤرات لنشر الدعوة الإسلامية بين الشعوب الوثنية في غرب القارة الافريقية وقلبها، ومرد هذا خصوصًا إلى اختلاط الصوفية بالطبقات الشعبية في هذه البلاد وعيشهم بين العامة والفقراء مما أبدى لهؤلاء نماذج حية تتصف بالتقوى والصلاح إلى جانب ما تقوم به هذه الطرق من خدمات اجتماعية وألوان في البر والإحسان والمواساة والمؤاخاة(٣٧).

وما كان ذلك إلا لتطبيقهم ما يأمرهم به الكتاب والسنة فكل "طريقه صوفية سليمة تدعوا إلى التزام الكتاب والسنة، والطريقة التي تنحرف عن ذلك تكون فاسدة ضالة فاسدة، فإذا ما التزمت الكتاب والسنه، فإنك من الفائزين، أما قولك "وأحكم عقلي" فذلك يحتاج إلى تنبيه، لأن الدين نزل هاديًا للعقل وكونه نزل هاديًا للعقل يقتضي أن يتحكم الدين في العقل، ولعلك تريد بذلك أنك تستعمل عقلك لتفهم النص على وصفه الصحيح، فإذا كنت تريد ذلك فإنك على الحق ويكتب الله لك التوفيق(٣٨).

ويتصل بهذا أيضا دور الصوفية في الجهاد بالمرابطة في الثغور الإسلامية لحمايتها ضد المعتدين على حدود دار الإسلام، والتصوف الإسلامي نشأ وتطور واستمر إلى عهد قريب مجاهدًا مرابطًا والرباطات وهي قلاع حربية حصينة كانت في أصلها وتطورها خانقاهات للصوفية المرابطين فيها للجهاد ضد أعداء المسلمين. فـ "عبادان" كانت في الأصل أول رباط تجمع فيه "متطوعة" البصرة للدفاع عن الثغر الإسلامي وفيه رابط عدد كبير من كبار مشايخ الصوفية مثل مقاتل ابن سليمان (ت ١٥٨هـ) ورباط المنستير في تونس ((القرن الثاني الهجري)) ورباط الفتح ((عاصمة دولة المغرب حاليًا)) ومئات غيرها كانت حصون حربية وخانقاهات للصوفية في وقت واحد معًا (٣٩).

وهكذا يحقق الصوفية – وإلى أعلى درجة– ذلك المجتمع المفتوح الذي تحدث عنه برجسون في كتابه المشهور ((ينبوعا الأخلاق والدين)) لأنهم منفتحون على كل التجارب الدينية

(٣٧) المصدر السابق - ص٢٥.

(٣٨) **عبد الحليم محمود - فتاوى الإمام عبد الحليم محمود - ج١ - ص ٣٩١.**

٣٩() عبد الرحمن بدوي- تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني -ص٢٦.

الإنسانية متعاطفون مع سائر التيارات الروحية مستشعرون للأخوة الإنسانية الجامعة بين الناس جميعًا على اختلاف الأزمنة والأمكنة[40].

ويرجع الشيخ محمد أبو زهرة ما حققه الصوفية من نشر الإسلام إلى الدعاية التى يقوم بها الصوفية إلى أمرين ((:أحدهما – من القدوة والاختلاط، والأخلاق الإسلامية والتسامح والرفق في المعاملة، والمثل الطيبة الواضحة في المعاملة الحسنة، وذلك أن أئمة الصوفية كالقطب عبد القادر الجيلاني، وأبي الحسن الشاذلي والمرسى أبو العباس، وبن عطاء الله السكندري، كانوا على أخلاق إسلامية طيبة، وكانوا على سماحة تُدنِي البعيد، وتُثبت القريب، وبهذه الأخلاق التي سَرَت إلى بعض مريديهم وأتباعهم، كانوا يجذبون إلى الإسلام طوائف من غير المسلمين الذين يختلطون بهم، فإن المعاملة الحسنة، والاختلاط الذي يكون بعشرة طيبة يجذب النفوس، وتسري بها العقائد الفاضلة، فتسري العقيدة العالية إلى ما دونها، كما يسري الماء العذب من المكان المرتفع إلى المكان المنحدر، وقد كان هؤلاء الآحاد من المتصوفة الذين لا يشعبذون بل يتعبدون ويختلطون بأهل أفريقيا الوثنيين، والمجوس والوثنيين في آسيا، فيؤثرون بمعاملتهم، وبسعة صدورهم، وعقولهم بأكثر مما يؤثر القول، وقد كانت تقترن بهذه الأخلاق دعوات أحادية أحياناً. الثاني: مجالس الوعظ التي كان يعقدها الأئمة من الأقطاب، فقد كانت مجالس عامة يحضرها المسلمون، ويحضر فيها غير المسلمين فيتبعون الشيخ في مواعظه ثم يعلو الأتباع حتى يتبعوه في عقيدة الوحدانية))[٤١].

بالإضافة إلى أن الإسلام الذي زحف إلى أفريقيا وبعض أجزاء آسيا لم يكن يزحف تحت ظلال السيوف، لأن السيوف لم تصل تلك البقاع وإنما وصل إليها عن طريق التجار والمسافرين الذين استطاعوا بسلوكهم وأخلاقياتهم الإسلامية أن ينقلوا الدعوة الإسلامية صورة عملية تلقفها الناس بشوق ولهف. إن التاريخ فيما يرويه عن حوادث القرن التاسع الهجري أن المغول شنوا على شرق العالم الإسلامي هجومًا ساحقًا مدمرًا انهارت معه الخلافة الإسلامية فى تلك المنطقة ولكن سرعان ما شع نور الإسلام؛ أليس في هذه الحادثة دليل قاطع على

40) المصدر السابق- ص٣٠.

(٤١) الشيخ محمد أبو زهرة- الدعوة إلى الإسلام - دار الفكر العربي للنشر - القاهرة - ١٩٩٢م - ص ٧٧.

أنه لا وجود لأية علاقة بين انتشار الإسلام والجهاد في الإسلام [٤٢] وكان للصوفية فضل كبير في هذا فإن أتباع أبي الحسن الشاذلي، والمرسى أبي العباس، ونشاط ابن عطاء الله السكندري كان لهم دخل بالقدوة والمسلك في أفريقيا، والفضل الواضح الأثر كان للتيجانية والسنوسية في القرون الأخيرة فقد كانت التيجانية لها عناية شديدة بالدعوة إلى الإسلام، في غرب أفريقيا ووسطها، حتى إنك ترى الكثرة الكاثرة في ساحل الذهب وساحل العاج، وغانا، وغينيا، والسنغال، والكونغو، ونيجيريا من المسلمين الأقوياء في تدينهم[٤٣].

بالإضافة إلى ما سبق فقد كان للإمام عبد الحليم محمود أيضا دور كبير في الرعاية الاجتماعية للأيتام والفقراء والمساكين والمرضى والعجزة والأرامل ((فكان داعيًا إلى الرحمة بهم، رحمة بالأزواج والأولاد والأهل؛ بيد أن ما أرادة الرسول هو أن تتغلغل الرحمة في الكيان الإنساني كله حتى تصبح وكأنها من فطرته وطبيعته وجبلته فيكون الإنسان وكأنه قبس من الرحمة الإلهية))[٤٤]

لذا كانت دعوة الإمام إلى رحمة هؤلاء الأفراد الذين أفقرتهم الظروف، وبقوا ينتظرون العطف من غيرهم فدعا فضيلته إلى إنفاق المال عليهم وعدم البخل على هؤلاء أصحاب الحاجات لقوله تعالى :﴿ **كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ١٨ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلا لَّمّا ١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبّا جَمّا ٢٠** ﴾ [٤٥] داعيًا فضيلته إلى عدم اتخاذ طريق الأنانية والنفعية والانتهازية طريقًا فى الحياة لما فى ذلك من الآثار السلبية على الروابط الاجتماعية بين الأفراد والشعوب معا[٤٦].

ومن هنا يتضح الدور الاجتماعي للتصوف الإسلامي لدى الإمام عبد الحليم محمود: فقد تحدث الإمام في مؤلفاته عن أئمة التصوف وما قدموه من جهاد سواء أكان نفسيًا أو معنويا أو جسديًا لذا حث الإمام علي ضرورة اقتداء الشباب بهم سلوكيًا وأخلاقيا حيث يقول :((

---

[٤٢] محمد فتح الله الأيادي- ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها - المنشأة العامة للنشر والتوزيع- ط ١ - طرابلس - ١٩٨٣م- ص ١٦٣.

[٤٣] الشيخ محمد أبو زهرة- الدعوة إلى الإسلام - ص ٨٠.

[٤٤] عبد الحليم محمود - منهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع - ص١٦٢.

[٤٥] سورة الفجر الآيات ١٧ :٢٠.

[٤٦] عبد الحليم محمود - الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة (مقال) - دار المنظومة - البنوك الإسلامية - عدد أغسطس ٤٩- لسنة ١٩٨٦م.- ص ٤٨.

يجب علينا أن نوضح من سيَّرهم لشبابنا ما ينير الطريق المستقيم أمامهم؛ إن سِيَّرهم تضع شبابنا في جو إسلامي من ناحية الفكر، وفي جو إسلامي من ناحية السلوك، وسيري شبابنا مُثُلًا عليا يَندُر أن تجد الإنسان ما يضارعها في تاريخ الغرب في ماضية وحاضرة؛ لقد رسم الإسلام بطابعه– وما يزال– طائفة من الناس هم المثل العليا للإنسانية استمدوا شعارهم من الجو الرباني الذي يشع من القرآن الكريم ومن السيرة النبوية الشريفة فأسلموا وجوههم لله واستجابوا إلى ما رسمه الإسلام من سلوك مبني على إسلام القلب لله؛ والأمة الإسلامية أحوج ما تكون الآن إلى وضع الشباب، بل ومنهم أسن من الشباب في الجو الإسلامي الصادق والوسيلة الجذابة السهلة في ذلك إنما هي التحدث عن سيرة رجال الإسلام الصادقين أمثال: مالك والشافعي وابن حنبل وأمثال الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز وسفيان والفضيل وابن المبارك والبخاري وعشرات غيرهم في كل فن من فنون العلم وفي كل قمة من قمم الفضيلة)) (٤٧).

عبد **المراجع والمصادر**

أولاً : المراجع

١) الحليم محمود – الجهاد في الإسلام-- دار المعارف– ط٢– القاهرة– ١٩٨٨م.
٢) عبد الحليم محمود – الحمد لله هذه حياتي -- المكتبة التوفيقية– القاهرة–د/ت ط.
٣) عبد الحليم محمود – الامام الرباني الزاهد عبد الله بن المبارك – دار المعارف – ط١ – القاهرة – ١٩٩٥م .
٤) عبد الحليم محمود – منهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع – مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة –٢٠٠١ م.
٥) عبد الحليم محمود – العبادة أحكام وأسرار– دار غريب للطباعة والنشر– القاهرة – ١٩٩٨م –
٦) عبد الحليم محمود – موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة – مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط٢– القاهرة – ٢٠٠٨م .
٧) عبد الحليم محمود – فتاوى الإمام عبد الحليم محمود – الجزء الأول – دار المعارف – الطبعة الخامسة– القاهرة– ١٩٩٨م .

(٤٧) عبد الحليم محمود ـ الامام الرباني الزاهد عبد الله بن المبارك ـ دار المعارف ـط١ ـ القاهرة ـ ١٩٩٥م-ص٩.

٨) عبد الحليم محمود – فاذكروني أذكركم – دار الشعب للطباعة – القاهرة– ١٩٧٠م.

ثانيا : المصادر

٩) أحمد أمين – ظهر الإسلام –ج٢– تقديم: صلاح فضل تعليق: محمد فتحي أبو بكر – الدار المصرية اللبنانية للنشر –٢٠١٦م.
١٠)أحمد أمين – فيض الخاطر – ج ٧– مكتبة هنداوي للنشر – القاهرة – ٢٠١٢م.
١١)أحمد محمود الجزار– الإمام المجدد بن باديس والتصوف منشأة المعارف للنشر – ط ١ ، الإسكندرية ، ١٩٩٩م .
١٢)الإمام ابن عربي– الوصايا– الوصية ٣٩ – دار الايمان– ط٢– دمشق– بيروت– ١٨٨٨م .
١٣)سعيد حوى– تربيتنا الروحية – طبعة دار السلام للنشر والتوزيع – القاهرة – ط٦– ١٩٩٩م .
١٤)السهر وردى – عوارف المعارف – مجلد١– تحقيق د. أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق على وهبه –مكتبة الثقافة الدينية –ط١ – القاهرة – ٢٠٠٦م.
١٥)الشيخ محمد أبو زهرة– الدعوة إلى الإسلام – دار الفكر العربي للنشر – القاهرة – ١٩٩٢م .
١٦)طه عبد الباقي سرور– أعلام التصوف الإسلامي– ج١– دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع, – القاهرة– ١٩٥٦م.
١٧)عبد الرحمن بدوي– تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني– تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني – وكالة المطبوعات – الكويت– ط١– ١٩٧٥م.
١٨)فوزى محمد أبو زيد – المنهج الصوفي والحياة العصرية – دار الإيمان والحياه– ط١ –القاهرة – ٢٠٠٦م .
١٩)مجدي إبراهيم – التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي –مكتبة الثقافة الدينية للنشر –القاهرة –ط٢ –٢٠٠٦م.

٢٠)محمد فتح الله الأيادي- ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها – المنشأة العامة للنشر والتوزيع- ط ١ – طرابلس – ١٩٨٣م.
٢١)محي الدين الألوائي- الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية- دار القلم للنشر – ط١- دمشق – ١٩٨٦م .

ثالثا : مقالات وأبحاث

٢٢)عبد الحليم محمود – الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة (مقال) – دار المنظومة – البنوك الإسلامية – عدد أغسطس ٤٩- لسنة ١٩٨٦م.
٢٣)عبد الحليم محمود – مواد عن الاقتصاد الإسلامي في مشروع الدستور الإسلامي (مقال) – دار المنظومة- البنوك الإسلامية –عدد ٢٠- شهر اكتوبر/ وذو الحجة محكمة- ١٩٨١م – الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية للنشر .

٢٤)محمد امحزون – السلام رؤية إسلامية (مقال) – مجله البيان عدد ٣٨٦- مقال غير محكم – عدد يونيو ٢٠١٩م- المغرب .

رابعا : رسائل ماجستير

٢٥)مؤيد إبراهيم كاظم - الحرب العراقية الإيرانية وأثرها على الأمن القومي العربي والأمن الوطني العراقي (رسالة ماجستير غير منشورة)- جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية- ١٩٨٤.

خامسا: المجلات

٢٦)عبد الحليم محمود - بيان بشأن الحرب العراقية الإيرانية - مجلة الأزهر- مج ٤٣ - ج ٤- كانون ثاني ١٩٧٩.
٢٧)عبد الحليم محمود - بيان بشأن قضية الصحراء بين المغرب والجزائر - مجلة الأزهر – مج ٣١ - ج ٣ - القاهرة - نيسان ١٩٧٥.